الفصل الرابع
الأدلة العلمية والكونية

مقدمة

القرآن الكريم كتاب دين، غايته تعليم العباد العقيدة الدينية السليمة، والشريعة الإلهية العادلة، والبراهين التي تقنع الناس بها.

لكن الآيات التي جاءت بالعقائد والشرائع انطوت على حقائق علمية وكونية مدهشة، فيقول مالك بن نبي إنه: "إذا كان لا يليق بنا أن نعتبر القرآن كتاب علم science، فإننا نلاحظ فيه – مع ذلك – آيات تحتوي كلا الاهتمامين: لمسها حقيقة علمية، وإلقاؤها – بهذا اللمس – مزيداً من الوضوح على علاقة الذات المحمدية بالظاهرة القرآنية"(١).

ومن دراسة هذه الإشارات العلمية التي وردت عرضًا في القرآن يثبت مالك ابن نبي أن القرآن تنزيل من عند الله، لأن تلك الإشارات لم تكن في متناول محمد ﷺ، ولا في متناول مجتمعه الأمّي، ولا أي مجتمع بشري آخر في ذلك الزمان، سواء العرب والفرس واليهود والنصارى، وفي العصر الحديث فقط استطاع العلم التجريبي الكشف عنها(٢).

وهذا هو ما يسمى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُّنة المحمدية.

---

(١) مالك بن نبي؛ الظاهرة القرآنية؛ ص ٣٤٠.
(٢) نفسه؛ ص ٣٤٢.

تعريف الإعجاز العلمي

ويعرِّف الشيخ عبد المجيد الزنداني الإعجاز العلمي فيقول: "هو إخبار القرآن الكريم أو السُّنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ"(١).

فكيف عرف محمد هذه الحقائق؟

ليس أمام الباحث المنصف سوى الإيمان بأن الوحي هو الذي عرفه بها". وهذا اعتراف بأن محمداً نبي صادق.

ولقد قال الله تعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت: ٥٣] وعلى هذا يصبح من واجب المسلمين أن يبحثوا في أنفسهم وفي الآفاق عن الآيات التي تبين للناس أن القرآن حق، والإسلام حق، ومحمداً رسول صدق وحق.

وفي العصر الحديث قام علماء عديدون في مجالات العلوم الكونية، والفيزيائية والكيميائية، والجيولوجية والجغرافية، والطبية، والنفسية، بدراسات عميقة لما ورد في القرآن والسنة من حقائق علمية وكونية، وأذهلهم أن وجدوا كل ما ورد فيهما من حقائق مطابقاً لما أثبته العلماء المحدثون، وهكذا نشأ مبحث جديد في علم التوحيد الإسلامي هو مبحث: الإعجاز العلمي، أو الأدلة العلمية على صحة نبوة محمد ﷺ، وعلى النقيض من هذا، وجدوا معظم ما ورد من إشارات كونية في التوراة والإنجيل مناقض للحقائق العلمية.

ويقول الشيخ الزنداني: "إن معجزة القرآن العلمية تظهر لأهل العلم في كل مجال من مجالاته، فهي ظاهرة في نظمه، وفي إخباره عن الأولين، وفي إنبائه

---

(١) انظر كتابه: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ ص ١٤.

بحوادث المستقبل، وحكم التشريع، وغيرها"[1] يشير بهذا إلى الإعجاز البياني، وإلى إعجازه في الإخبار عن الغيب الماضي، وإلى إعجازه بالتنبؤ عن المستقبل، وإلى الإعجاز التشريعي، والأخلاقي، فضلاً عن الإعجاز الكوني والعلمي.

فمن أعظم الأدلة على صدق محمد أن الدراسات العلمية الحديثة لم تجد في القرآن أو السنة ما يتناقض مع الحقائق العلمية المؤكدة، هذا في الوقت الذي وجدَ فيه بعض الباحثين تناقضات عديدة بين التوراة والإنجيل وبين حقائق العلوم الحديثة.

من هؤلاء العلماء الذين اهتموا بالدراسات المقارنة بين "العلم" وبين التوراة والإنجيل والقرآن "موريس بوكاي" في كتابه الرائع في هذا الموضوع [2].

والنتيجة النهائية لبحوث "بوكاي" تقول إن: "دراسة نص القرآن في العصور الحديثة لم تكشف عن الحاجة إلى إعادة النظر في شيء." وقد وجد الرجل أن القرآن أورد وقائع كثيرة ذات صفة علمية، وأن التوراة أوجدت القليل منها: "إذْ ليس هناك أي وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن، وإنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية، وتلك هي النتيجة الأساسية التي تخرج بها دراستنا"[3].

ومن البدهي أن تشهد صحة الحقائق العلمية والكونية التي في القرآن على صدق محمد في قوله إنه تلقى القرآن من عند الله بواسطة جبريل، وعلى هذا يقرر "بوكاي" وجود توافق تام بين ما جاء بالقرآن وبين المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك – كما سبق أن بيَّنا – يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها"[4].

---

(١) تأصيل الإعجاز العلمي؛ ص ٢٧.
(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ نشر دار المعارف بالقاهرة؛ سنة ١٩٧٨.
(٣) نفسه؛ ص ١١، ١٢.
(٤) نفسه؛ ص ٢٨٦.

يقول موريس بوكاي إن: "دراسة نص القرآن في العصر الحديث لم تكشف عن الحاجة إلى إعادة النظر في هذا الموضوع، وسوف نرى فيما بعد أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية، وهي وقائع كثيرة جداً، خلافاً لقلتها في التوراة، إذْ ليس هناك أي وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن.

أما عن التوراة فيقول: "إننا لا نستطيع علمياً قبول صحة نص سفْر التكوين الذي يعطي أنساباً وتواريخ تحدد أصل الإنسان (خَلْق آدم) بحوالي ٣٧ قرناً قبل المسيح" و"إنه لن يمكن أبداً إثبات أن الإنسان ظهر على الأرض منذ ٥٧٣٦ كما يقول التاريخ العبري في ١٩٧٥م، وبناءً على ذلك فإن معطيات التوراة الخاصة بقِدَم الإنسان غير صحيحة"(١).

ويقول بوكاي إنه وجد في الكتاب الأول من التوراة، أي سفْر التكوين: "مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا"(٢).

ويقول بوكاي إن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا: "وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقِدَمِ الإنسان على الأرض"(٣).

وهذا يثبت أن التوراة والإنجيل ليسا وحياً من عند الله، لأن الله تعالى منزَّه عن الخطأ.

ويتساءل "بوكاي": "كيف أمكن لمحمد ﷺ أن يتناول – قبل أربعة عشر قرناً – حقائق علمية في القرآن لم يكشفها إلا التقدم العلمي في القرون الحديثة، لو لم يكن القرآن وحياً مُنزلاً لا شك فيه ولا ارتياب في نصوصه؟(٤).

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٢.
(٢، ٣) نفسه؛ ص ١٣.
(٤) نفسه؛ ص ٢٧٧.

دليل أطوار الجنين

ونبدأ بأطوار الجنين البشري؛ فنجد أن تفسير الآيات الكونية يثبت سبق الآيات القرآنية للعلوم الحديثة بقرون. فقد وردت آيات عديدة تبين أطوار الجنين في بطن أمه، بما يتعارض مع الاعتقادات التي كانت شائعة في عصر النبوة المحمدية، من ذلك قول الله تعالى ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ** ﴾ [الزمر: ٦] وقوله سبحانه ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً** ﴾ [الحج: ٥].

وفي زمن النبوة لم توجد أية وسائل تمكن الأطباء من تبين أطوار الجنين في حالات لم يكن قد بلغ فيها أجزاء من المليمتر، فما جاء عنه في القرآن يستحيل أن يكون من علم بشر – إنه تنزيل من رب العالمين على نبيه الصادق الأمين ﷺ (١).

وما كان لدى أحد من البشر أية فكرة عن الظلمات الثلاث في عهد النبوة، ولا بعد نزول الآية الكريمة بقرون، فكيف عرف محمد تلك الظلمات الثلاث؟ لقد تلقى العلم بها من جبريل لا عن بشر ولا من كتاب(٢).

دليل الزوجية

ويقرر القرآن الكريم بحكم كلّي قاطع وجود الزوجية الشاملة في كل شيء، بقوله تعالى ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وعند نزول هذه الآية الكريمة كان معروفًا أن الزوجية مجالها الإنسان، والحيوان،

---

(١) الدكتور زغلول النجار؛ تفسير الآيات الكونية؛ ٣ / ٢٠٤.
(٢) نفسه؛ ص ٢٠٩.

وربما بعض النباتات. أما أن "كل شيء" كان أزواجًا أزواجًا، فلم يكن يخطر لأحد على بال.

وبعد نزول الآية الكريمة بأربعة عشر قرنًا، وبعد بحوث مضنية، أدرك العلماء أن الزوجية ليست قاصرة على الإنسان والحيوان والنبات، وأنها تمتد إلى عالم الجماد، وإلى مكوناته النهائية، وإلى عالم الطاقة أيضًا[1]. وبذلك أكدوا صواب الآية القرآنية الكريمة وسلموا بصحة الحكم الكلي الشامل القاطع المثبت للزوجية في كل شيء. وتبعًا لهذا تتأكد سماوية القرآن الكريم وصدق النبي الكريم الذي تلقاه عن ربه سبحانه وتعالى.

دليل: قلب واحد لكل إنسان

وكان بعض الجاهليين العرب يظن أن بعض الأفراد لهم قلبان، وكان بعضهم يدعي أن للنبي محمدًا قلبين؛ وكان ذلك محاولة لتفسير التميز الفردي الذي لاحظوه في شخص محمد! وكان أحرى بمحمد – لو لم يكن نبيًّا صادقًا – أن يقبل تلك الخرافة! لكن القرآن حسم الموقف وقرر أنه ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... ﴾

[الأحزاب: ٤]

ويقابلنا مفهومان للقلب في التراث الإسلامي، أحدهما أن القلب عضلة تضخ الدم وتدفعه إلى مختلف أجزاء الجسم لتمدها بالأكسجين والمواد الغذائية، وهذا المفهوم يصطدم بالآيات العديدة التي ورد فيها لفظ القلب، ولذلك ظهر المفهوم الثاني للقلب، ذلك الذي يقرر أن "**القلب يشكل الذات البشرية المعنوية الباطنة، بكل قواها**". والقلب في هذا المفهوم ليس المضخة المشار إليها في المفهوم الأول؛ فهو ليس جسديًّا؛ إنه يشبه الكهرباء التي تنتقل قواها عبر الأسلاك المعدنية، المادية، لكنها ليست مادية ولا معدنية. إنه يعمل في الجسد، لكنه ليس جسدًا.

---

(١) الدكتور زغلول النجار؛ تفسير الآيات الكونية؛ ٣ / ٤٤٥، ٤٤٦.

والقلب بالمفهوم الروحي أو المعنوي، بكل ملكاته وقواه، متحد اتحاداً وثيقًا بالظاهر، أي بالجسم. والظاهر والباطن معًا يكونان الذات الإنسانية، وكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به بطرق عديدة بعضها ظاهر ملحوظ وبعضها غير معروف، مثل أية وحدة عضوية [1] وما يسمى بالطب السيكوسوماتي يقوم على هذه الحقيقة، وهذه الوحدة العضوية عرفت منذ أمد بعيد.

وهذا المفهوم ينفي ازدواج القلب نفيًا باتًّا، أي نفي ازدواج الحياة الباطنة للفرد الإنساني، فليس لفرد ما حياتان باطنتان، بل حياة واحدة، وقد يتظاهر الفرد بغير حقيقة حياته الباطنة؛ لكن التظاهر والنفاق لن يمس حياته الباطنة، إنه يمكن أن يغير حياته الباطنة ويستبدل بها غيرها، لكنه لا يستطيع الجمع بين قلبين بحال [2].

وهكذا يثبت إعجاز الآية الكريمة استنادًا إلى المفهوم الروحي للقلب كما جاء في الآيات العديدة التي ذكرت القلب، ومن ثم يثبت صدق النبي ﷺ.

دليل البنان

تسوية البنان في خَلْق البشر معجزة إلهية تؤكد لكل ذي عينيْن القدرة الإلهية المطلقة: "والخالق العظيم قد أتم خَلْق الإنسان على أكمل ما يقتضي الخلق من الإتقان، وخَتَمَ خَلْق كل فرد من بني الإنسان بتسوية بنانه، أي بصمات أصابعه بصفة عامة، وبصمات أنامل تلك الأصابع بصفة خاصة" [3] وبصْمة كل فرد لا يمكن أن تتطابق مع بصمة فرد آخر، وإن كان توأمه، ولذلك استخدمت البصمات في تحديد الجناة في الجرائم المختلفة، فانتفعت البشرية بها أعظم انتفاع، ولم تدرك العلوم المكتسبة قيمة البصمة إلا في بداية القرن العشرين، وهكذا نرى أن القرآن الكريم سبق المعارف

---

(١) تفسير القرطبي؛ ١ / ١٦٤.
(٢) الدكتور أحمد عبد الرحمن؛ مفهوم القلب في القرآن الكريم؛ نشر المؤلف؛ ٢٠٠٠م.
(٣) تفسير الآيات الكونية؛ ص ٢٣٤.

المكتسبة بثلاثة عشر قرنًا، بإشارته إلى تسوية البنان في الأحياء، ثم عند البعث، مما يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه"(١).

دليل توسع الكون

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] وقد نزلت هذه الآية الكريمة: "والعالم كله ينادي بثبات الكون وعدم تغييره.

في عام ١٩٣٩ اكتشف «هابل» أن الملايين من المجرات في ابتعاد مستمر بعضها عن بعض، بسرعات هائلة.. وهذا يعني أن الكون في تمدد مستمر، أو توسع مستمر، وهذا ما قررته الآية الكريمة ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]

وبعد توصل العلم الحديث إلى الحقيقة القائلة إن الكون له بداية يتسع منها ويتمدد، نستطيع أن نقول إن معنى الآية الكريمة لم يعد يحتمل التأويل، وهذه الحقيقة العلمية ليست قائمة على نظرية أو فرض، ولكنها حقيقة أثبتتها المشاهدات. وقد قام فليكون عديدون بتجارب اتفقت على أنها حقيقة علمية، ولم يظهر حتى الآن أي دليل يعارضها أو يقدح في صحتها: فأصبحت حقيقة اتساع الكون كحقيقة دوران الأرض حول الشمس أو كروية الأرض»(٢).

يقول بوكاي إن: "توسع الكون هو أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث"(٣).

ويقارن ما جاء في قوله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣] بما قاله علماء غزو الفضاء، ثم يعقب قائلاً: "كيف لا ننبهر بتلك التحديدات الدقيقة التي لا يمكن افتراض أنها صدرت عن فكر إنسان عاش منذ أربعة عشر قرنًا تقريبًا؟"(٤).

---

(١) تفسير الآيات الكونية، ص ٢٣٧. (٢) الدكتور يحيى المجرى، آيات قرآنية في مشكاة العلم.
(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ١٩٢. (٤) بوكاي، ص ١٩٥.

وهكذا نجد الأدلة العلمية الحديثة في مجالات متباينة تشهد بأن القرآن الكريم يستحيل أن يكون من تأليف بشر، أو من نسخ كتب عامرة بالأخطاء.

إنه وَحي أوحاه الله تعالى إلى نبيه الكريم محمد بن عبد الله ﷺ.

وإن توسع الكون – كما يقول بوكاي – "هو أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث، ذلك المفهوم قد ثبت اليوم ثبوتًا تامًّا؛ ولا تعالج المناقشات إلا النموذج الذي يتم به هذا التوسع.

هذا التوسع أوحت به نظرية النسبية؛ وهو – فضلاً عن ذلك "يعتمد على معطيات مادية، وذلك من خلال دراسات طيف المجرات؛ فالانتقال المنهجي نحو اللون الأحمر من الطيف، يجد تعليله في تنحي المجرات كل عن الأخرى"(١).

والقرآن الكريم يقول تعبيراً عن ذلك ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات: ٤٧]

فهذه معجزة شاهدة على أن كتابنا العزيز وحى من عند الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ.

دليل "الرتق والفتق"

إن الإشارة الواردة في سورة الأنبياء (الآية ٣٠)، مذهلة حقًّا!

قال تعالى ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: ١١] وذلك لأن الصورة العلمية الحديثة ترى هذه الحقيقة نفسها!!

١ – فالآية الأولى تشير إلى عملية "**الفتق**" – أي الفك والفصل، الذي مزق الكتلة الأولى التي كانت ملتحمة أو "مرتوقة" حسب لفظ القرآن.

٢ – والآية الثانية تشير إلى وجود **كتلة غازية**، هي الدخان، وقوامها "غاز" تتعلق به جزيئات دقيقة من المواد الصلبة أو السائلة في درجة حرارة معينة.

٣ – ثم يقرر القرآن ويؤكد أن "**العوالم متعددة**"؛ وعبارة "**رب العالمين**" تتكرر في القرآن منذ الآية الأولى من سورة الفاتحة نفسها!

(١) بوكاي؛ ص ١٩٢

وهذا هو على التحديد ما انتهت إليه العلوم الحديثة.

فكيف استطاعت عبقرية محمد أن تبدع هذا العلم؟

وهل كان بوسع إنسان أمي، في عصر أمي؛ أن يقرر الحقائق التي لم يعرفها العلم الحديث إلا بعد قرون، وبعد تطورات، وآلات، وبحوث متراكمة، وتجارب لا تنقطع؟!

يقول بوكاي إن عملية تكوين الشمس، ونتاجها الثانوي – أي الأرض: "نجد أن العملية تمت من خلال تكاثف السديم الأولي، وانفصالهما. وذلك بالتحديد هو ما يعبر عنه القرآن بشكل صريح، عندما يشير إلى العملية التي أنتجت ابتداءً من "الدخان" السماوي "رتقًا ثم فتقًا". إننا نسجل هنا التطابق الكامل بين المعطية القرآنية والمعطية العلمانية"(١).

ويرد بوكاي على اعتراض يزعم بأن هذه الصورة العلمية الدقيقة مستفادة من التراث القديم فيقول إن بعض الحقائق – مثل وحدة الشمس والأرض أصلاً – ترددت بالفعل في تراث الإنسان.

لكن الأوصاف الخرافية كانت تضاف إلى الحقيقة دائمًا. ففي اليابان جاء في الأساطير أن الكون في أصله كان في حالة اختلاط وفوضى: "ثم أضافت (الأساطير) إلى هذه الصورة **البيضة** المحتوية على بذرة في داخلها، كما هو الحال في أي بيضة، وبهذا الشكل أفقدت الإضافةُ الخياليةُ الأسطورةَ جدية المفهوم".

أما حقائق القرآن: "فهي خالية من التفاصيل الوهمية المصاحبة لهذه المعتقدات"(٢).

وقد سئل الدكتور فاروق الباز عن أصل السماء وأصل النجوم: هل هو الدخان، كما قال الله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصلت: ١١] فقال الدكتور الباز: بعد أن حللنا صخور القمر، وتمكنا من تحليل الشهب والنيازك، تأكد لنا أن عمر صخور القمر

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٧١، ١٧٢. (كان لفظ معطى خيراً من لفظ معطية!!! المؤلف)

(٢) الموسوعة الذهبية؛ ص ١٥.

وصخور المجموعة الشمسية وصخور الأرض عمرها كلها واحد، مما يدل على أنها تكونت في وقت واحد، وتأكد لنا أن الكون واحد، وأن الأرض والسماء كانتا متصلتين فانفصلتا» .

وهذا هو على التحديد الرتق (أو وحدة الأصل)، ثم الفصل (أو الفتق!) .

وهذه حقيقة معجزة مذهلة، أن يتحدث العلم الحديث بلغة تجريبية علمية مؤكداً التطابق مع ما ورد في القرآن الكريم.

دليل غزو الفضاء

قال تعالى ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ [الرحمن: ٣٣].

ويلاحظ بوكاي أن استعمال الحرف ؛ إنْ" (أو أداة الشرط "إنْ") يشير حسب قواعد العربية إلى الإمكان، في حين يشير الحرف "لو" إلى الامتناع. **فكأن القرآن قد قرر إمكان غزو الفضاء منذ ١٤ قرنًا**؛ والسلطان الذي اشترطه القرآن هو سلطان العلم.

وهناك آية أخرى: "تصف لنا رد الفعل الإنساني أمام المشهد غير المنتظر الذي سيوهب لمسافري الفضاء: نظرات مضطربة وشعور بالانسحار"(١). وذلك في قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ** ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

وهذا هو ما حدث فعلاً لرواد الفضاء سنة ١٩٦١ .

دليل السحب الركامية

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ** ﴾ [النور: ٤٣] .

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٩٤ .

وبهذه الآية يسبق القرآن العلوم البشرية في التعريف بالسحب الركامية، فلم يعرف العلماء تلك السحب إلا بعد ريادة السماء بواسطة الطائرات، في أواخر القرن العشرين: "ومن هنا يأتي وصف القرآن الكريم لها بهذه الدقة والإحاطة والشمول، شهادة صدق على أن القرآن العظيم هو كلام الله الخالق، وأن الرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي، ومعلَّمًا من قِبل خالق السماوات والأرض"(١).

دليل دقة التقدير في الخلق

وفي حكم كلي شامل صارم يقول الله تعالى ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ [الفرقان: ٢] ويقول ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر: ٤٩]. ومنذ نزول القرآن حاول المفسرون إدراك معنى التقدير في خَلْق كل الأشياء، فأصاب كل منهم على قدر علمه وعلم زمانه، ثم جاء العصر الحديث بدراساته العميقة المنوعة، ليشهد للخالق العظيم: "بدقة التقدير وروعة التدبير، وإحكام الترابط والتوازن بين مختلف أجزاء هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء المنضبط انضباطاً شديداً في كل وحدة من وحداته وكل جزئية من جزئياته، من أدق دقائقه إلى أكبر مكوناته، من اللبنات الأولية للمادة الداخلة في كل جزئية، من بناء الذرة إلى المجموعات النجمية المكونة للمجرة، ومن الأرض إلى باقي أجرام السماء، ومن الفيروس إلى الإنسان، وفي كل وسط بيئي محدد – على تعدد تلك الأوساط وتباينها"(٢).

وهكذا جاءت العلوم المتقدمة الحديثة بشرح الآية الكريمة والآيات الأخرى التي أكدت دقة التقدير في خلق كل شيء، وبذلك أكدت صواب الحكم الكلي الشامل. وهذا يؤكد تبعًا لذلك صدق النبي الذي تلقى هذه الآيات الكريمات عن ربه عز وجل، وأبلغها إلى الخلق ليعرفوا ربهم ويعبدوه وحده لا شريك له.

الكون مخلوق وله نهاية

﴿ **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ [الرعد: ٢].

---

(١) تفسير الآيات الكونية: ٢ / ٢٩٥.
(٢) نفسه: ٣ / ٥٢٧.

يقول الدكتور النجار إن معنى هذه الآية: "أن الكون ليس بأزلي ولا بأبدي، بل كانت له في الأصل بداية تحاول العلوم المكتسبة تحديدها، وكل ما له بداية لابد وأن تكون له في يوم من الأيام نهاية لها من الشواهد الحسية في كل من الشمس والقمر ما يؤكد على حتميتها"(١).

وهذا التفسير يوجه ضربة لمزاعم المشككين في حقيقة خَلْق العالم، والمروِّجين لفكرة أن الوجود قديم، موجود بلا بداية، وليس له خالق، على نقيض ما يقرره الإسلام من أن الله تعالى خالق كل شيء، وموجد كل شيء، فهذا التفسير سند مهم ودعم قوي للإيمان بالله الخالق قبل أن يكون دعمًا للإعجاز العلمي، فالعالم مخلوق، وخالقه الله تعالى.

وينتهي الدكتور النجار إلى القول إن تسخير الشمس والقمر وجريانهما إلى أجل مسمى حقيقة علمية لم تصل إليها العلوم الكسبية إلا في أواخر القرن العشرين، مما يؤكد أن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ (٢).

دليل التصعد في السماء

يقول العلماء المحدثون إن لدى الإنسان حويصلات هوائية فى صدره فإذا دخل الأكسجين الرئتين: "ينفخ هذه الحويصلات الهوائية فتراها منتفخة، لكن إذا عدنا إلى طبقات الجو العليا ينقص الهواء وينقص الأكسجين، فيقل ضغطه، فتنكمش هذه الحويصلات، ويقل الأكسجين فإذا انكمشت هذه الحويصلات ضاق الصدر ويتحرج النفس ويصبح صعبًا ﴿ ... **يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...** ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

---

(١) تفسير الآيات الكونية: ١ / ٣٨٩، ٣٩٣.
(٢) نفسه: ص ٣٩٦.

وقالوا: من سطح البحر إلى ١٠٠٠٠ قدم لا يحدث تغيير.

ومن ١٠٠٠٠ قدم إلى ١٦٠٠٠ قدم يبدأ الجسم فى هذه المنطقة تكييف نفسه ليعدل النقص الذى حدث.

ومن ١٦٠٠٠ قدم إلى ٢٥٠٠٠ قدم يبدأ الضيق الشديد فى الصدر ويصاب صاحبه بالإغماء، ويميل إلى أن يقع وتأخذه دوخة، ويكون التنفس صعباً.

وبعد ٢٥٠٠٠ قدم تتمدد الغازات فى المعدة فتضغط على الحجاب الحاجز فيضغط على الرئتين، ويضيق الصدر.. وهذا هو ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾

[الأنعام: ١٢٥]

ولم يعرف العرب ولا الأمم الأخرى المجاورة، تجربة الصعود إلى السماء، على ارتفاع ١٦٠٠٠ قدم ليقال إن محمداً عرف ذلك من كلام الناس ورواياتهم، وليس فى بلاد العرب جبل بهذا الارتفاع الذى يسبب الضيق الشديد فى الصدر [١].

إن المشركين كانوا يشعرون بالضيق الشديد لما يسمعونه من تسفيه عقولهم، وضياع حياتهم هباءً منثوراً فى عبادة الأوثان والإيمان بسخافات الوثنية، وذلك هو ما يشبه التصعد فى السماء.

دليل كون الكائنات الحية أمم مثل البشر

فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم..** ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) الموسوعة الذهبية فى إعجاز القرآن؛ ص ٤٤.

يقول الدكتور النجار إن الآية الكريمة " تشير إلى أن كل نوع من أنواع الأحياء، بأممه وأفراده، هو كيان خاص معزول عن غيره من الأفراد والأمم والأنواع، وأن كل صلات القربى المتعلقة به محصورة في أفراده، ولا تمتد إلى غيره من الأنواع – وهي حقيقة بدأت أعداد من نتائج العلوم المتلاحقة من مثل علم الوراثة، وعلم الأحياء الجزيئي، وعلم الكيمياء الحيوية وغيرها تتحدث عنها بوضوح"(١).

وورود هذه الحقائق في كتابنا العزيز يشهد بأنه من عند الله تعالى، لأنه لا يمكن لبشر أن يصل إليها في عهد النبوة المحمدية ولا قبلها.

دليل الماء أصل الحياة

ويقول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] هذه الآية الكريمة تعبر عن حقيقة كونية شاملة، ولأن كل شيء حي هو من الماء، استخلص الدكتور النجار ما يلي:

١ – أن الماء سابق في وجوده على جميع المخلوقات الحية.

٢ – وأن الله تعالى خلق كل صور الحياة الأرضية الباكرة في الماء، لأن الأوساط المائية في بدء خلق الأرض كانت أنسب البيئات لاستقبال الحياة.

٣ – وأثبتت علوم الأرض أن خلق النبات كان دومًا سابقًا لخلق الحيوان، وأن عملية الخلق توَّجها الله تعالى بخلق الإنسان (٢).

هذه الحقيقة الكبرى القائلة إن كل شيء حي مخلوق من الماء، لم يصل إليها علم الإنسان الكسبي إلا في منتصف القرن العشرين: "ووروودها في كتاب الله بهذه الدقة العلمية المبهرة، والإيجاز المعجز، مع الشمول والإحاطة، مما يقطع بأن القرآن

---

(١) تفسير الآيات الكونية: ١ / ٢١٥.
(٢) نفسه: ٢ / ١١٩، ١٢٠.

الكريم هو كلام الله الخالق، ويشهد بالنبوة والرسالة للرسول والنبي الخاتم الذي تلقاه"[1].

وفي آية أخرى يبين الخالق جل جلاله أنه خلق كل دابة من ماء فيقول ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ** ﴾ ثم يصنف الدواب على أساس وسيلتها في المشي فيقول في الآية نفسها ﴿ **فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [النور: ٤٥] وهذه الحقائق: "لم تكن معروفة في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده"[2]. فورودها في القرآن الكريم دليل على أنها تنزيل من عند الله، وعلى صدق نبوة محمد ﷺ.

دليل دورة الماء

تحدث القرآن الكريم عن دورة الماء في الطبيعة فأورد حقائق واضحة، **لم يعرفها العلم الحديث إلا بعد حوالي ألف سنة، عام ١٥٨٠م**، على يد "برنارد باليسي" Bernard Palissy.

ولم تتسرب أية معلومة خاطئة (إلى آيات القرآن الكريم) وقد كانت سائدة في عهد النبوة المحمدية[3].

فهذا دليل علمي مُحْكم على صحة القرآن، وعلى صحة النبوة المحمدية، فيقول بوكاي: "ولنقارن معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدها في كثير من الآيات القرآنية ..... سنلاحظ وجود توافق رائع بين الاثنين"[4].

واستند بوكاي إلى آيات عديدة ذكرت الرياح والسحاب والأمطار، منها قوله

---

(١) تفسير الآيات الكونية؛ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٢) نفسه؛ ٢ / ٣١٧ .
(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ؛ ص ١٩٨ - ٢٠٣ .
(٤) نفسه؛ ص ٢٠٣ .

تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢]

ولاحظ أيضًا عدم الاختلاط الفوري بين ماء البحر المالح، وماء الأنهار العذب، واستشهد بقول الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣].

وعرض موريس بوكاي عدداً كبيراً من الحقائق، وقارن بين ما جاء في القرآن الكريم وما يقوله العلم الحديث فيها، ثم يعقب على ذلك بقوله: "إننا نسجل هنا التطابق الكامل بين المعطية القرآنية والمعطية العلمانية"(١). هذا تحديداً عن "الرتق والفتق" في خَلْق الكون.

دليل كروية الأرض

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيراً ﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦].

هاتان الآيتان تثبتان كروية الأرض، ففيهما: "إشارة واضحة إلى كل من كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، وإلى جريها في مدار محدد لها حول ذلك النجم بمحور مائل على مستوى مدار الشمس، وإلا ما تكوَّن الظل، ولا تبدلت الفصول المناخية، فلو أن الأرض لم تكن كرة ولم تكن دوَّارة حول محورها أمام الشمس ما امتد الظل، ولا تبادل الليل والنهار، ولو أن كوكبنا لم يكن جارياً باستمرار في مدار محدد حول الشمس، وبمحور مائل على مدارها ما تبدلت الفصول المناخية ولا تغيرت زوايا سقوط أشعة الشمس على الأرض، وبالتالي تغيرت شدتها، ولظلت أشعة الشمس مسلطة باستمرار على أحد نصفَي الأرض المغمور في نهار دائم فتبخر الماء، وتخلخل الهواء، وتحرق كل حي أو تصيبه بالأمراض، بينما نصفها الآخر

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٧١ ، ١٧٢ .

يبقى مغموراً في ليل دائم تتجمد فيه الأحياء وتفنى فناء كاملاً لحرمانها من طاقة الشمس.."(١).

وحين نزلت هاتان الآيتان كان الاعتقاد السائد هو أن الأرض ثابتة، فإذا جاءت هذه الحقائق العلمية الدقيقة في القرآن، كان معنى ذلك أنه تنزيل من عند الله تعالى تلقاه رسوله الصادق الأمين ﷺ.

وتتأكد كروية الأرض انطلاقًا من تفسير قوله تعالى ﴿ ... **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ... ﴾ [الزمر: ٥] فهذا التكوير يشير إلى كروية الأرض، وإلى دوران الأرض حول محورها، دون أن يعلن ذلك صراحة، وتلك حكمة إلهية لأن الإعلان الصريح ما كان يمكن قبوله في مجتمع أمي كالمجتمع العربي في ذلك الزمان، وهذا يؤكد أن القرآن كلام الله العليم الحكيم.

دليل مصدر الماء: الأرض

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا** .... ﴾ [الأنعام: ٩٩].

بعد أن يشرح العمليات العديدة التي تتم حتى يخرج الحب من النبات، وهي عمليات مذهلة، يقول الدكتور النجار: "وهذه الحقائق لم يدركها العلم المكتسب إلا في القرن العشرين، ووروردها في كتاب الله قبل أربعة عشر قرنًا بهذه الدقة والإحاطة والشمول لما يجزم بأن القرآن الكريم هو كلام الله المُوحي به إلى خاتَم أنبيائه ورسله"(٢).

ويقول سبحانه وتعالى﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا** ﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]

---

(١) تفسير الآيات الكونية: ٢ / ٣٢٦.

(٢) نفسه: ١ / ٢٤١.

هنا يبين القـرآن الكريم أن مـاء الأرض وهواء الأرض من داخل الأرض. "هذه الحقيقة لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، فسبحان منزل القرآن من قبل أربعة عشر قرنًا"(١).

دليل الجبال أوتاد

انطـلاقًا من قول الله تعالى ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ [النبأ: ٦، ٧] وبعد شرح مستفيض للآيتين الكريمتين، يقول الدكتور النجار إن لفظة "أوتاد": "تصف كلاً من الشكل الخارجي للجبل، وامتداده الداخلي ووظيفته؛ لأن الوتد أغلبه يدفن في الأرض، وأقله يظهر على السطح، ووظيفته التثبيت، وقد أثبتت علوم الأرض في العقود المتأخرة من القرن العشرين أن هكذا الجبال، بعد أن ظل وصف الجبال إلى مشارف التسعينيات من القرن العشرين قاصراً على أنها مجرد نتوءات فوق سطح الأرض، واختلفوا في تحديد حد أدني لارتفاع تلك النتوءات الأرضية اختلافًا كبيراً. وفي السبق القرآني بوصف الجبال بأنها أوتاد تأكيد أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى"(٢).

دليل مرور الجبال مَرَّ السحاب

وإننا ننظر إلى الجبال فنراها جامدة ساكنة، لا يشك في ذلك أحد، لكن القرآن الكريم يخالف هذه الرؤية، فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾

[النمل: ٨٨]

ويقول الدكتور محمد توفيق صدقي: "وليس ذلك في يوم القيامة على الأصح،

---

(١) تفسير الآيات الكونية؛ ٤ / ٣١٠.
(٢) نفسه؛ ٤ / ٢٨٣.

إذْ قوله ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ لا يناسب مقام التهويل والتخويف؛ وقوله ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ لا يناسب مقام الإهلاك والإبادة"(١).

فالآية تقرر حركة الأرض التي تتضمن الجبال. وحركة الأرض بهذه الصورة لابد أن يلزم لها وجود محور للحركة! والمحور يتطلب وجود قطبيْن؛ والقطبان عيَّنهما لفظ أطراف، وأشار إليهما تقرير "دَحْو الأرض". إذن، الأرض بيضاوية الشكل، وذات حركة دائرية حول محور، وأن لها قطبيْن.

هذه الحقائق لم تعرف إلا في العصور الحديثة (٢).

دليل إنقاص الأرض من أطرافها

يقول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا.. ﴾ [الرعد: ٤١].

بعد تفسير عبارة إنقاص الأرض يقول الدكتور النجار: "فسبحان الذي أنزل – من قبل ألف وأربعمائة سنة – هذه الإشارات العلمية الدقيقة إلى حقيقة إنقاص الأرض من أطرافها، وهي حقيقة لم يدرك الإنسان شيئًا من دلالاتها العلمية إلا منذ عقود قليلة "(٣).

هل توجد كواكب أخرى تشبه الأرض؟!

يقول بوكاي: "وليس أقل ما يثير دهشة قارئ القرآن في العصر الحديث أن يجد في نص تصريحًا بإمكان وجود كواكب أخرى تشبه الأرض، في الكون؛ وهذا ما لم يتحقق منه الناس بعدُ في عصرنا"(٤).

قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

---

(١) الدكتور محمد توفيق صدقي؛ الدين في نظر العقل الصحيح؛ مطبعة المنار؛ ط ٢ سنة ١٣٤٦هـ ص ٤٥
(٢) مالك بن نبي؛ الظاهرة القرآنية؛ ص ٣٤٥ .
(٣) تفسير الآيات الكونية؛ ١ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
(٤) بوكاي؛ السابق؛ ص ١٦٤ .

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

[الطلاق : ١٢]

ولم نتحقق علميًّا حتى الآن من وجود "سبع أراض" ! ولكن العلم يمضي، والمعرفة تتقدم، وسوف يكتشف الإنسان يومًا أن أرضه ليست وحدها، أما الآن فالفلكيون يقولون بوجود مجموعات أخرى غير المجموعة الشمسية، كل ما في الأمر أنهم لا يعرفون إن كانت هناك "أراض" كأرضنا من حيث وجود الغلاف الجوي، والأكسجين، ومن ثم الماء، والحياة على ظهرها؛ لكن عجز البشر عن التعرف على ذلك لا يمنع مطلقًا من أن تكون حقيقة، فهي حقيقة، وكما يقول الفلاسفة: "الموجود أوسع كثيرًا من المعروف".

ويخرج "بوكاي" من دراسته العلمية للقرآن بخمس حقائق هي:

(أ) وجود ست مراحل للخلْق.

(ب) تداخل (أو: معية) خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.

(ج) خلق الكون ابتداء من "كومة" أولية كانت "مرتوقة" ثم "فتقت" بعد ذلك.

(د) تعدد السماوات، والكواكب التي تشبه كوكبنا (الأرض).

(هـ) وجود خلق وسيط "بين السماوات والأرض"[١].

ثم يقارن بوكاي هذه الحقائق بمعطيات العلم الحديث وينتهي إلى القول: "إذا كانت المسائل التي تطرحها رواية القرآن لم تتلق تمامًا – حتى يومنا هذا – توكيدًا من المعطيات العلمية، فإنه لا يوجد على أي حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون"[٢].

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٦٦ .

(٢) نفسه؛ ص ١٧١ ، ١٧٢ .

دليل مدار الشمس ومدار القمر

القرآن قرر وجود **مدار للشمس، ومدار للقمر**، وبيَّن أن **كلاً منهما ينتقل في الفضاء بحركته الخاصة**.

قال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٣] وقال تعالى ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس: ٤٠].

ويعلق بوكاي على هاتين الآيتين بقوله: "القرآن يذكر بوضوح أمراً جوهريًّا، ألا وهو: وجود مدار لكل من الشمس والقمر، كما يشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء كل بحركته الخاصة"(١).

ويقول بوكاي أيضًا إن القرآن – بهاتين الآيتين – قد قدم: "**مفهومًا جديداً لم يتضح إلا بعد قرون عدة**"(٢) ولهذا السبب لم يستطع قدامى المفسرين فهم المعنى المقصود منهما بدقة – وبخاصة كلمة "فلك" – فقال الطبري في تفسيره: "**.... ونسكت عما لا علم لنا فيه**".

دليل "أجَل" الشمس، و"مستقرها"

يقرر القرآن الكريم أن للشمس "أجلاً" و "مستقرًّا".

قال تعالى ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ [الرعد: ٢] وقال تعالى ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [يس: ٣٨].

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٨٣ .

(٢) السابق؛ ص ١٨٤ .

فثمة إذن حقيقة قرآنية تقول :

(أ) **إن للشمس والقمر أجلاً أو عمراً محدداً.**

(ب) **إن للشمس مستقراً**، أي مكاناً تقف فيه عن الحركة.

فماذا يقول العلم الحديث؟

يقول إن : "الشمس حالياً في مرحلة أولى تتسم بتحول ذرات الهيدروجين إلى ذرات الهليوم"(١).

ويقدر أن تنتهي هذه المرحلة بعد ٥,٥ مليار سنة؛ "ويكون نتيجة هذا التحول تمدد الطبقات الخارجية، **وبرود الشمس** ... وكما حدث بالنسبة لنجوم أخرى سُجلت تحولاتها حتى المرحلة الأخيرة، **فيمكن توقع نهاية الشمس**". "ويحدد علم الفلك الحديث – بشكل كامل هذا المكان (أي المستقَر) بل أعطاه اسم (مستقر الشمس Apex Solitaire) "(٢).

* * *

(١ ، ٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ ص ١٩١ ، ١٩٢ .